

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى

١٢

سعد

بن معاذ

فاطمة محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١ ٢

سعد بن معاذ

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

سيرة نبوية (الصحابة) شركة  
٢ شارع كامل صدقي - الفيحة  
٥٩٠٨٩٢٠:٥

## سعد بن معاذ

دُقَّ جرسُ الشُّقَّة ، فجرى أحمدُ لِيَفْتَحَ البابَ  
وصاح: إِنَّه العَمُّ عبده يا أُمِّي ، وقد أحضرَ الخُضَرَ  
والفاكِهَةَ من السَّوق .

ونظرَ أحمدُ إلى ما في السِّلَّةِ الَّتِي أحضرَها العَمُّ  
عبده ، فغَضِبَ وقال :

— ما هذا يا عَمُّ عبده ، كيف تُحْضِرُ لنا مَوْزًا من  
إِنْتاجِ المَزَارِعِ الْيَهُودِيَّةِ ؟

تعجَّب العَمُّ عبده وقال : أَيْ مَزَارِعَ يَهُودِيَّةٍ يا  
بُنَيَّ ؟ كَفَى اللَّهُ الشَّرَّ ، لقد أحضرْتُهُ من العَمِّ  
سُلَيْمَانَ الْفَكْهَانِيَّ بِأَوَّلِ الشَّارِعِ .

قالَ أحمدُ : وَلَكِنْ مَصْدَرُهُ يَهُودِيٌّ .  
وبعدَ تَنَاوُلِ الْعِشَاءِ ، قَدَّمتْ أُمُّ أَحْمَدَ الْفَاكِهَةَ ،  
فَقَالَ أَحْمَدُ :

— أَنَا لَنْ أَكُلَ مِنْ هَذَا الْمَوْزِ .

سَأَلَ أَبُوهُ : وَلِمَاذَا يَا أَحْمَدُ ؟ فَأَنْتَ تُحِبُّ أَكْلَ  
الْمَوْزِ ؟

قَالَ أَحْمَدُ : أَلَا تَرَى يَا أَبِي الْمَكْتُوبَ عَلَى الْعَلَامَةِ ؟  
إِنَّ هَذَا الْمَوْزَ يَهُودِيُّ الْمَصْدَرِ . وَقَدْ قَالَ لَنَا الْمُدْرِّسُ أَلَّا  
نُحَالِفَ الْيَهُودَ ، وَلَا نَأْمَنَ لَهُمْ ، فَالْعَدْرُ مِنْ طِبَاعِهِمْ .  
قَالَ أَبُوهُ : صَدَقْتَ يَا أَحْمَدُ ، فَقَدْ دَابَّ الْيَهُودُ  
دَائِمًا عَلَى مُضَايِقَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَدْرِ بِهِمْ . وَإِنَّ  
مَوَاقِفَهُمُ الْغَادِرَةَ لَا حَصَرَ لَهَا ، وَمِنْهَا عِنْدَمَا ذَهَبَ  
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ ، يَلْتَمِسُ  
النَّصَرَ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْدَ أَنْ كَذَّبَتْهُ قُرَيْشٌ وَآذَتْهُ ، فَلَمْ  
تَكُنْ حَالُ ثَقِيفٍ بِأَفْضَلَ مِنْ حَالِ قُرَيْشٍ ، فَقَدْ كَذَّبُوهُ  
وَسَفَّهُوهُ وَآذَوْهُ ، وَأَمَرُوا عَبِيدَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ أَنْ يُلْقُوا  
عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ حَتَّى شَجَّوْا رَأْسَهُ ، وَأَصَابُوهُ إصاباتٍ  
شَدِيدَةٍ .

قَالَتْ أُمُّهُ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا أَحْمَدُ ، فَقَدْ طُبِعَ

اليهودُ على الشرِّ ، وقد قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما اجتمعَ مُسْلِمٌ وَيَهُودِيٌّ في مكانٍ ، إلَّا وهمَّ اليهوديُّ بقتلِ المُسْلِمِ .

وأكملَ أبوه : نعم ، وقد وصلَ بهم الغدرُ أن همَّوا بقتلِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
قالَ أحمدُ : أحدثَ ذلكَ حقًّا يا أباي ؟

قالَ أبوه : نعم يا أحمد ، فعندما ذهبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مرَّةً إلى بني النضير ليطلبَ منهم المَعُونَةَ ، استنَادًا إلى العهدِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ في أَيَّامِهِ الْأُولَى بِالْمَدِينَةِ ، أوعِزَّتْ إليهم بُفوسُهم الغادِرَةُ أن يَقتُلوه ، بأن يُلْقُوا عَلَيْهِ حَجَرًا كَبِيرًا من فوقِ بَيْتٍ كانَ يَجْلِسُ إلى جِوارِهِ ، لولا أن أوحى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعالى إلى نَبِيِّهِ بما يَنْوِيهِ اليَهُودُ ، فغادرَ مجلسَهُ .

وقالتَ أمُّه : وخَيْرُ أيضًا ، ألم تَضَعْ لَهُ السُّمَّ في لَحْمِ الشَّاةِ ؟

قال أبوه : وفي غزوة الأحزاب أكبر دليل على  
غدرهم ونقضهم العهود .

سأل أحمد : وماذا فعل اليهود في غزوة الأحزاب  
يا أباي ؟ ألم تكن غزوة الأحزاب بين قريش وبين  
المسلمين ؟

قال أبوه : أوغز بعض سادة اليهود إلى قريش ،  
أن يخرجوا لقتال محمد ، ووعدوهم أن يعاونوهم  
في قتاله ، كما انضم إليهم يهود بني قريظة ، جيران  
النبي في المدينة ، وفتحوا أبواب المدينة أمام المغيرين  
المعتدين . ولكن النصر جاء من عند الله ، فهبت  
الرياح شديدة اقتلعت الخيام ، وكفأت أي قلبت  
القدور ، فانصرف الأحزاب عن المدينة مهزومين .

سأل أحمد : وماذا فعل الرسول صلى الله عليه  
وسلم ببني قريظة ؟

قال أبوه : أوكل النبي صلى الله عليه وسلم

الحُكْمَ فِي أَمْرِهِمْ ، إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بِنَاءً عَلَى  
اخْتِيَارِهِمْ إِيَّاهُ ، حَيْثُ كَانَ حَلِيفَهُمْ قَبْلَ إِسْلَامِهِ .

سَأَلَ أَحْمَدُ : وَمَنْ يَكُونُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ يَا أَبَى ؟

قَالَ أَبُوهُ : سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ هُوَ سَيِّدُ بَنِي الْأَشْهَلِ ،  
أَعْظَمُ بَطُونِ الْأَوْسِ وَإِمَامُ الْأَنْصَارِ ، أَنْشَأَهُ أَبُوهُ عَلَى  
الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعَصِيَّةِ وَالْخُلُقِ الْحَمِيدِ ، أَسْلَمَ  
عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، أَوَّلِ سَفِيرِ لِلْإِسْلَامِ فِي  
الْمَدِينَةِ ، فَقَدْ سَمِعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِالْوَافِدِ الْقَادِمِ مِنْ  
الْمَدِينَةِ - مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ - يَدْعُو إِلَى دِينِ جَدِيدٍ ،  
وَنَبَذَ عُبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَبَصِفَتَهُ سَيِّدِ الْأَوْسِ ، ذَهَبَ  
سَعْدُ وَصَدِيقُهُ "أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ" إِلَى بَيْتِ أَسْعَدَ بْنِ  
زُرَّارَةَ - بِنِ خَالَةِ سَعْدٍ - حَيْثُ يَنْزِلُ مُصْعَبُ .

ذَهَبَ وَفِي نَيْتِهِ أَنْ يَدْفَعَ هَذَا الْغَرِيبَ خَارِجَ  
حُدُودِ الْمَدِينَةِ .

وَلَكِنْ سَرَتْ كَلِمَاتُ مُصْعَبٍ فِي نَفْسِ سَعْدٍ  
سَرَيَانَ السَّحَرِ ، فَأَذَابَتِ الْعَصِيَّةَ الْقَبْلِيَّةَ ، وَأَلَانَتْ

الحجر ، وأعلن سعد بن معاذ إسلامه وسط دَهْشَةٍ جميع الحاضرين . ونادى فى قومه مُعلنًا عن إسلامه ، فلم تَمُضْ أيام على إسلام سعد بن معاذ ، إلا ولم يبقَ بيتٌ من بُيوت الأوس ، إلا وفيه مؤمنٌ أو مؤمنةٌ يُوحِّدُ الله..

وعندما هاجر الرسولُ إلى المدينة ، كانت بُيوتُ بنى الأشهلِ قَبِيلَةِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ ، مُفْتَحَةً الأبوابِ للمُهَاجِرِينَ ، وكانت أموالهم كُلُّها تحتَ تصرُّفهم . وهنا قالت الأمُ : لا تنسَ أن تقصَّ على أحمدَ موقفَ سعدِ بنِ مُعَاذٍ يومَ غَزْوَةِ بَدْرٍ ، فقد أظهرَ إيمانًا وولاءً لا مثيلَ لهما .

قال أبوه : أنتَ تعلمُ بالطَّبعِ يا أحمدُ ، ما حدثَ فى غَزْوَةِ بَدْرٍ ، والعرى التى هربَ بها أبو سُفْيَانٍ ، وخروجَ قُرَيْشٍ لحربِ المسلمين .



قال أحمد : نعم يا أباي ، وأعلمُ كذلك أنَّ النَّبيَّ لم يُرد أن يخرجَ لِقَتالِهِم ، قبل أن يَسْتَشِيرَ أَصْحَابَهُ .

قال أبوه : وكان المهاجرون على أهبة الاستعداد للخروج ، ولكنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نظرَ إلى الأنصارِ وقال : أشيروا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ .

فنهض سعدُ بنُ مُعَاذٍ وقال : يا رَسُولَ اللَّهِ لقد آمنا بك وصَدَقْنَاكَ ، وشَهِدْنَا أنَّ ما جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُھُودَنَا وَمَوَاقِفَنَا ، فامضِ يا رَسُولَ اللَّهِ لما أَرَدْتَ فنحنُ معك . ووالَّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لو اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضَّتْهُ ، خُضْنَاهُ مَعَكَ ، ما تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ .

وعِنْدَ بَدْءِ الْمَعْرَكَةِ ، أشارَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أن يُنْيَى لَهُ عَرِيشُ

فِي مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ ، لِيُدِيرَ مِنْهُ الْمَعْرَكَةَ . وَوَقَفَ عَلَى  
بَابِ الْعَرِيشِ سَعْدٌ وَأَبُو بَكْرٍ وَصَفْوَةُ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ ، لِيَحْمُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
وَقَالَتِ الْأُمُّ : وَفِي يَوْمٍ أُحُدٍ ، أَلَمْ يَكُنْ دَائِمًا إِلَى  
جَانِبِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُدَافِعُ عَنْهُ  
وَيَحْمِيهِ فِي اسْتِبْسَالٍ وَشَجَاعَةٍ ؟

قَالَ الْأَبُ : وَكَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ ، عِنْدَمَا  
حَاصَرَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ الْمَدِينَةَ بِجَيْشٍ عَرْمَرَمٍ ،  
يُرِيدَانِ الْفَتْكَ بِالْمُسْلِمِينَ ، فَبَعَثَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ سَيِّدَ الْأَوْسِ ، وَسَعْدَ بْنَ  
عَبَادَةَ سَيِّدَ الْخَزَرَجِ ، إِلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَتَبَيَّنُوا  
مَوْقِفَهُمْ مِنَ الْغَزْوِ ، فَكَانَ رَدُّهُمْ بِكُلِّ خُبْرٍ وَمَكْرٍ  
وَدَهَاءٍ : لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ عَقْدٌ وَلَا عَهْدٌ .

قَالَ أَحْمَدُ : وَهَكَذَا تَخَلَّوْا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَشَدِّ

المواقف وأصعبها .

قال الأب : وعزَّ على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما تتعرض له المدينة من خطر ، فعرض على بنى غطفان الانسحاب من المعركة ، مقابل نصف ثمار المدينة ، وشاور النبي سعد بن معاذ وسعد بن عباد السديين ، فهما زعيما المدينة ، وصاحبا الحق في هذا الأمر .

وعندما علم سعد بن معاذ أن ذلك العرض ليس بوحي من الله سبحانه ولكنه اجتهاذ من النبي صلى الله عليه وسلم ، خوفا على المدينة ، قال : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا من مدينتنا تمرا ، إلا كرمًا أو ضيافة أو بيعا . أوبعد أن هدانا الله للإسلام نعطهم أموالنا ؟

وَاللّٰهُ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَهُمْ .

وَيَأْخُذُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْيِ سَعْدِ بْنِ  
مُعَاذٍ ، وَتَكُونُ الْحَرْبُ . وَيَبْدَأُ حِصَارُ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ  
سَعْدٌ يَرْتَدِي دِرْعًا قَصِيرًا يَبْرُزُ مِنْهُ ذِرَاعُهُ ، وَتَدُورُ  
الْمُنَاوِشَاتُ حَوْلَ الْخَنْدَقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ .  
وَيَتَرَاشَقُ الْفَرِيقَانِ بِالنَّبَالِ ، وَيُصِيبُ سَهْمٌ ذِرَاعَ سَعْدٍ  
فَيَقْطَعُ شُرْيَانَهَا فَيَنْفَجِرُ مِنْهُ الدَّمُ ، فَيَأْمُرُ النَّبِيُّ صَلَّى  
اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْ يُحْمَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيَكُونَ قَرِيبًا  
مِنْهُ فِي أَثْنَاءِ تَمْرِيقِهِ ، وَيَظْهَرُ حُبُّ سَعْدٍ لِلْجِهَادِ ،  
وَلِنُصْرَةِ دِينِ اللّٰهِ فَيَقُولُ : اللّٰهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ  
حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا ، فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبَّ إِلَيَّ  
أَنْ أُجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ  
وَأَخْرَجُوهُ ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا

وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْ مَا أَصَابَنِي الْيَوْمَ طَرِيقًا إِلَى الشَّهَادَةِ ،  
وَلَا تُمِتَّنِي حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ .

قَالَ أَحْمَدُ : أَلِهَذِهِ الدَّرَجَةُ يَا أَبَى كَانَ يَكْرَهُ يَهُودَ  
بَنِي قُرَيْظَةَ ؟

قَالَ أَبُوهُ : نَعَمْ يَا وَلَدِي ، فَقَدْ خَانُوا الْمُسْلِمِينَ ،  
وَتَحَلَّوْا عَنْهُمْ فِي أَصْعَبِ الْمَوَاقِفِ وَأَشَدِّهَا خُطُورَةً  
عَلَى الْإِسْلَامِ .

قَالَ أَحْمَدُ : وَهَلْ كَانَتْ إِصَابَتُهُ سَبَبًا فِي مَوْتِهِ  
يَا أَبَى ؟

قَالَ أَبُوهُ : مَاتَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُتَأَثِّرًا بِجِرَاحِهِ ، بَعْدَ  
شَهْرٍ مِنَ الْآلَامِ وَالْمُعَانَاةِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ - كَمَا سَبَقَ أَنْ  
قُلْنَا - حَكَمًا عَلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ قَبْلَ مَوْتِهِ .

سَأَلَ أَحْمَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ يَا أَبَى ؟  
قَالَ أَبُوهُ : عِنْدَمَا هَبَّتِ الرِّيحُ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ،

أَجَلَتْ قُرَيْشًا وَالْمُغِيرِينَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، نَادَى النَّبِيُّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ وَقَالَ : ( لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ  
 الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ) . وَحَاصِرَ الْمُسْلِمُونَ بَنِي  
 قُرَيْظَةَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ، حَتَّى تَعْبُوا مِنَ الْحِصَارِ ،  
 وَقَذَفَ اللَّهُ الرُّعْبَ قِي قُلُوبِهِمْ فَاسْتَسَلَمُوا ، وَرَجَوْا  
 أَنْ يُحَكَّمَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ، سَعَدَ  
 بَنَ مُعَاذٍ ، وَكَانَ حَلِيفَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَأَرْسَلَ  
 الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدَ ، وَجِئَ بِهِ  
 وَقَدْ أَعْيَتْهُ إِصَابَتُهُ وَأَنْهَكَتُهُ ، فَشَفَى غَلِيلَهُ مِنَ الْيَهُودِ  
 فَقَالَ : أَرَى أَنْ يُقْتَلَ مُقَاتِلُوهُمْ ، وَتُسَبَّى ذُرَارِيُّهُمْ  
 وَتُقَسَّمْ أَمْوَالُهُمْ .  
 وَعَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حُكْمِهِ ،  
 فَقَالَ : قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ .

وَيَزُورُهُ النَّبِيُّ فِي لَحَظَاتِهِ الْأَخِيرَةِ ، فَيَدْعُو لَهُ  
وَيَقُولُ : ( اللَّهُمَّ إِنَّ سَعِدًا قَدْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ ،  
وَصَدَّقَ رَسُولَكَ ، وَقَضَى الَّذِي قَضَيْتَ عَلَيْهِ ، فَتَقَبَّلْ  
رُوحَهُ بِخَيْرٍ مَا تَقَبَّلْتَ رُوحَ ) .

وَلَقِيَ الْفَتَى رَبَّهُ مُتَهَلِّلًا مُسْتَبَشِّرًا ، لَاحِقًا بِمَنْ  
سَبَقُوهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ ، فَلَيْسَ يُقَاسُ عُمرُ الْمَرْءِ  
بَعَدَدِ السَّنَوَاتِ الَّتِي قَضَاهَا فِي الْحَيَاةِ ، وَلَكِنْ بِمَا  
قَدَّمَهُ فِي خِلَالِ تِلْكَ السَّنَوَاتِ .

قَالَ أَحْمَدُ : كَمْ كَانَ عُمرُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ عِنْدَمَا  
مَاتَ يَا أَبِي ؟

قَالَ أَبُوهُ : كَانَ فِي السَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمرِهِ ،  
وَقَدْ أَمْضَى مِنْهَا فِي الْإِسْلَامِ سِتَّ سَنَوَاتٍ فَقَطْ ،  
وَلَكِنَّهُ أَنْجَزَ خِلَالَهَا الْكَثِيرَ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْأَنْصَارِ  
بِمَنْزِلَةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ .

وعندَ مَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، يَأْتِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ وَيُحَدِّثُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ  
الشَّخْصِ الَّذِي مَاتَ ، فَيَقُولُ : لَقَدْ اهْتَزَّ عَرْشُ  
الرَّحْمَنِ بِمَوْتِهِ .